جامعة أبي بكر بلقايد

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعي

شعبة الأنترووبولوجيا

مقياس : النظريات الانتروبولوجية المعاصرة

المستوى: ماستر 1

الأستاذ: بن معمر عبدالله

**المحاضرة الأولى**

**المدرسة التأويلية الرمزية:**

طرحت التأويلية الزمزية مع ممثلها كليفورد جيرتز Clifford Geertz ( 1926- 2006)م نفسها كرد معارض للتوجه البنيوي الشكلي الصوري في دراسة الرموز.

وجيرتز من أبرز علماء الأنتروبولوجيا الأمريكيين وأبعدهم تأثيرًا خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين (20). فهو مؤسس المدرسة التأويلية في الأنتروبولوجيا ومن أكبر الدعاة لإيلاء الأهمية لدراسة الرموز في الثقافة وللفكرة القائلة بأن هذه الرموز تضفي معنى ونظاما على حياة الناس. في خلال الحرب العالمية الثانية خدم جيرتز في البحرية الأمريكية ( 1943- 1945) ثم التحق بجامعة أنتيوك في أهايو حيث درس اللغة الانجليزية وحصل على الإجازة في 1950 . وفي الدراسات العليا انتقل إلى دراسة الفلسفة ثم إلى الأنتروبولوجيا بعد اقتراح من أحد أساتذته، حيث حصل على الدكتوراه من جامعة هارفرد في 1956، في 1951 قام بأبحاث ميدانية في جاوة بأنلدونيسيا بالاشتراك مع زوجته هيلدرد، حيث درس هو موضوع الدين بينما كانت هي تدرس موضوع النسب والعلاقات العائلية في جاوة. وكانت نتيجة أبحاث جيرتز في جاوة كتابه الدين في جاوة. وعاد جيرتز إلى انديونيسيا للمزيد من البحث الميداني بين عامي 1957 و 1958. انتقل باهتماماته البحثية إلى المغرب بين 1963 و 1971 وكان من نتيجة أبحاثه المغربية كتابه ملاحظة الإسلام الذي مدحه إدموند ليش باعتباره مقاربة مستبصرة بعمق في الإسلام كما يراه الاندونيسيون وكما يراه المغاربة. وفي العام 1973 نشر كتابه تأويل الثقافات الذي كان معبرا عن أفكار جيرتز الأساسية في التراث وكان له أثر مهم في الدراسات الأنتروبولوجية. وفي العام 2000 ظهر كتابه ضوء جديد على الأنتروبولوجيا. عمل جيرتز أستاذا في العديد من الجامعات الأمريكية.

يعد جيرتز من أكثر الأنتروبولوجيين الرمزيين اعتمادًا على منظومة متنوعة من النظريات والأفكار التي تنسب إلى ديلتاي وماكس فبير وبيرس وشوتز وسوزان لانجر وبيرك وولكر بيرسي وبول ريكور وفنجنشتاين وبارسونز.

ويرجع الفضل إلى التأويلية في إحداث نقلة نوعية في الدراسات الأنتروبولوجية من القرن 20. إذ حولت الأنتروبولوجيا التأويلية الاهتمام من الدراسات التي تركز على السلوك الوظيفي والبناء الاجتماعي والتي كانت تهدف إلى تحقيق الوضعية من خلال إقامة علم طبيعي للمجتمع إلى الاهتمام بالمعنى والرمز والتأكيد على رؤية المبحوثين ووجهة نظرهم كجزء من العمل الأنتربولوجي. كما أن الاتجاه التأويلي حول تدريجيا الاهتمام ببناء نظرية عامة عن الثقافة والتي كانت تعتمد على المنهج البنيوي التجريدي إلى الاهتمام بالعمل الإنتوجرافي أو الكتابة الإنتوجرافية المكثفة والنظر إلى المجتمع على أنه نص يمكن قراءته وتأويله. فمع هذا الاتجاه أصبحت الإتنوجرافيا ليست مجرد تجربة ميدانية بالمفهوم التقليدي مثل جمع المادة الإتنوجرافية بل نتاجا مكتوبا للدراسة الميدانية. إذ إن الاستخدام المجازي للثقافة على أنها نصوص وضع علامة فارقة بين العالم السلوكي والمفسر أو المؤول الثقافي. وطبقا لهذه الرؤية فإن الأنشطة الاجتماعية والثقافية يمكن أن تقرأ لمعانيها من خلال الملاحظ تماما مثلما تكون المادة المكتوية متاحة للقراءة بصورة تقليدية، وعلاوة على ذلك فإن الإثنوغرافي لا يقرأ الرموز في الفعل فقط بل أيضا يستطيع أن يقرأ الشخص موضع الملاحظة أو الفاعلين في علاقتهم كل منهم بالآخر.

والأنتربولوجيا التأويلية تعالج الحياة الاجتماعية والأنشطة الثقافية من حيث هي ظواهر يمكن دراستها وفهمها على أنها حوار للمعاني أو نقاش يتعلق بالرموز المتضمنة لتلك المعاني.

إن التيار التأويلي يركز على أهمية دور الأنتربولوجي في عملية التأمل وردود أفعاله في سياق العمل الإتنوغرافي والتأويل الثقافي المقارن، كما أنه يؤكد الأسلوب أو الطريقة التي بها يفهم الأنتروبولوجي النصوص الثقافية وقواعدها بالإضافة إلى فهم الأشكال المختلفة من الاتصال الثقافي مثل الشعائر ومعرفة القواعد التي يستخدمها الأفراد المبحوثون في استنتاج المعنى من الأنماط السلوكية والأشكال التعبيرية المستخدمة.

**الثقافة من المنظور التأويلي:** يقول جيرتز "إن مفهوم الثقافة الذي اعتنقه، هو بالأساس مفهوم سيميائي. وأنا مقتنع مع ماكس فبير أن الإنسان هو حيوان عالق في شبكات رمزية، نسجها بنفسه حول نفسه، وبالتالي أن أنظر إلى الثقافة على أنها هذه الشبكات، وأرى أن تحليلها يجب أن لا يكون علما تجريبيا يبحث عن قانون بل علما تأويليا يبحث عن معنى. وهكذا فأنا أبحث عن الشرح، شرح التعبيرات الاجتماعية وإجلاء غوامضها الظاهرة على السطح"[[1]](#footnote-2)

وهكذا فالثقافة عند جيرتز هي نسق من الرموز القابلة للتأويل. وهو يركز على البعد الثقافي الاجتماعي للرموز وليس البعد النفسي المتضمن في كتاب فرويد تأويل الأحلام. وبذلك فإن جيرتز يستخدم التأويل الرمزي للثقافة والمجتمع على خلاف فرويد الذي يركز على الجوانب النفسية اللاشعورية عند الفرد.

لقد أشار جيرتز إلى أن الرموز من حيث هي حاملات للمعنى أو التصور تتخد معاني تؤلف نصوصا ثقافية تسمح للناس بأن يتواصلوا معا وأن يعبروا عن أنفسهم لأنفسهم. ويؤكد جيرتز أن سوء فهم الثقافة يرجع إلى الاتجاهات التي تنظر إليها على أنها واقع فوق عضوي له وجود خاص به ويتسم بقوى وأهداف تميزه عن غيره، وهذا النوع من التوجه يعلو بالثقافة ويرفعها عن واقعها الاجتماعي.

والثقافة عند جيرتز عامة Public لأنها تتألف من رموز ومعان هي أيضا عامة. فقد طور فكرة النسق الثقافي أو الرمزي وحررها من الأطر الجامدة عند كل من بارسونز ولفي- ستروس. كما أنه استخدام الصورة أو الرمز كي يكشف عن أنماط ثقافية معينة في مجتمعات بعينها كما هي الحال في دراسته لأنماط التفكير البالينيزي من خلال وصفه المكثف لصراع الديكة وفي مناقشته لجوانب معينة من الأنماط السياسية كما هي الحال في دراسته عن المسرح. وقد نحج جيرتز أن يثير الاهتمام حول القضايا التي درسها وحول المنهج الذي استخدمه وكذلك حول استخدامه للرموز أو التأويل الرمزي. يستخدم جيرتز كلمة رمز كي تعني أي موضوع أو شيء يدل على شيء آخر أو معنى آخر أو شخص ما. إذ يمكن لأي موضوع أو حدث أو فعل أو علاقة أن يصلح كحامل لتصور ما. وبعبارة أخرى الرمز هو حامل للتصور أو المعنى سواء كان ذلك الحامل موضوعا ماديا أو فعلا أو حادثة أو صفة أو علاقة. والمعنى عند جيرتز مرتبط بمفهوم علم حياة الإشارات في المجتمع. ويوسع جيرتز مفهوم الرمز ليشمل تقريبا أي شيء يمثل معنى معينا لدى الأفراد.

فالكلمات مثل المفردات والمصطلحات والألفاظ والأبنية والتركيبات التي تتألف منها مثل الأساطير والقصص والنظريات والأصوات المتجسدة في الموسيقى والنغم واللحن والكلام، والصور مثل الأنماط والنماذج والرسم يمكن أن تكون رموزا، وأي موضوع يمكن أن أن يكون رمزيا سواء أكان موضوعا طبيعيا مثل المياه والمجوهرات أو موضوعا صناعيا مثل الأدوات والآلات كما أن الأحداث أو الوقائع مثل الشعائر والطقوس يمكن أن تكون ذات دلالات رمزية. ونفس المعنى ينطبق على العمليات والممارسات والنظم أو المجالات المؤلفة للنسق الثقافي الرمزي ككل مثل الدين والأيديولوجيا والحس العام والفن والعلم والفلسفة والقانون. فالدين مثلا هو نسق ثقافي مؤسس على الرموز المقدسة.

**المنهج الإثنوغرافي المكثف وتأويل النص:** يخضع جيرتز منهجه العلمي لطبيعة الدراسة التأويلية الرمزية التي يهدف إلى تحقيقها، فهو من ناحية يهتم بتحليل أنساق المعنى المتضمنة في الرموز، ومن ناحية أخرى يربط أنساق المعنى بالعمليات الاجتماعية وأنماط التفاعل الاجتماعي.

وطالما أن موضوع الدراسة هو نسيج المعاني والرموز المؤلف للثقافة والموجه للفعل الاجتماعي فإنه يتطلب ليس العلم التجريبي الذي يبحث عن القانون والأسباب التي ينجم عنها نتائج معينة بل يتطلب التحليل الوصفي التأويلي الذي يبحث عن المعنى. ومن أجل تفسير المعنى فإن الأنتروبولوجي يبحث عنه بين الناس في تفاعلهم الاجتماعي إذ أن هؤلاء الناس هم الذين أضافوا أو فرضوا المعنى على الأفعال والموضوعات والظواهر التي يتعاملون معها.[[2]](#footnote-3)

ومن منطلق اهتمام جيرتز بدراسة المعاني المتضمنة في الرموز أو الأفعال أو الأحداث أو الموضوعات، فإنه طور الدراسة الإتنوغرافية وعمقها وجعل منها منهجا أطلق عليه الوصف المكثف الذي هو جوهر المدخل التأويلي الرمزي. وهذا المنهج يتأسس على أربع خصائص هي: إنه أولا تأويلي، وثانيا إن ما يؤوله أو يفسره هو سياق الخطاب الاجتماعي، وثالثا التأويل يتضمن محاولة تأمين أو حماية ما يقال في مثل الخطاب الاجتماعي من المواقف أو الظروف التي يمكن أن تمحوه وذلك من خلال تثبيته في حدود أو كلمات أو مصطلحات يمكن تتبعها، وأخير رابعا إن مثل هذا الوصف يكون محليا ومكثفا ومن منظور تفصيلي دقيق أو يسعى إلى الوصول إلى أدق التفاصيل.

يسعى المنهج الإنتوغرافي المكثف إلى استخراج أو استنتاج وجهة نظر وآراء أو رؤى المواطنين أو الأفراد موضع الدراسة مع توضيح كيفية تأثير الأبنية الثقافية المختلفة على الفعل الاجتماعي. ذلك لأن ما يواجهه الإتنوغرافي ليس مجرد ظواهر متفرقة بل عدد كبير من الأبنية التصورية المعقدة المتداخلة فيما بينها والتي تتطلب نوعا خاصا من الوصف الإنتوغرافي المكثف.

إن الدراسة الإتنوغرافية لمجتمع أو ثقافة معينة تصف ونؤول سلوك الأفراد على أنها أنماط ثقافية مألوفة في المضمون الاجتماعي التي توجد فيه ومن وجهة نظر الأشخاص الذين يقومون بتلك الأفعال. أفعال الأفراد وكذلك الأحداث الاجتماعية تعامل على أنها نصوص قابلة للقراءة. فالإتنوغرافي يكتب الخطاب الاجتماعي أو الأحداث الاجتماعية وهو بذلك يحولها من مجرد أحداث عابرة تقع في اللحظة التي تحدث فيها، إلى تقرير أو نص يرجع إليه فيما بعد ويقرأه كما يقرأه غيره من الأفراد. إن الإتنوغرافيا فيما يرى جيرتز تشبه قراءة نص أو هي تحليل نص بقوله إن المادة التي يتعامل معها الإتنوغرافي هي عبارة عن أبنية تصورية متنوعة ومتعددة. وهي تحتاج لفهم مباشر ومتواصل والذي يشبه الفهم عند قراءة نص معين. فالأشكال أو الأنماط الثقافية يمكن دراستها وفهم معناها على أنها نصوص وعلى أنها أعمال خيالية تتألف من مواد اجتماعية. إن الوصف الإتنوغرافي أو القراءة الإتنوغرافية التي هي عبارة عن قراءة الأحداث والأفعال لا تنفصل عن الأحداث والأفعال موضع الدراسة وإلا أصبحت تلك الأفعال خالية من المعنى. وهنا يؤكد جيرتز دور الإثنوغرافي في التعامل مع الأحداث الاجتماعية وأفعال الأفراد على أنها نصوص يمكن عزلها مؤقتا عن الموقف بحيث يمكن قراءتها وفهم معناها، أي النصوص، فيما بعد وفي غياب الموقف ذاته، ولكن ليست منفصلة عن المضمون. فقراءة النص تعني هنا العملية التي من خلالها تصبح الأنماط غير المكتوبة من السلوك واللغة أو الكلام والمعتقدات والتراث الشفهي والشعائر مؤلفة لنص متسق ذي معنى ومغزى.

يركز المنهج الإتنوغرافي المكثف على الرموز الثقافية ليس في شكل مجرد منفصل عن الوقع بل في وجودها وتغلغلها في نسيج الحياة الاجتماعية كما يعيشها الأفراد في تفاعلهم الاجتماعي. ولقد طبق جيرتز هذا المنهج على عدد من الدراسات الإتنوغرافية التي قام بها. فمثلا وجد في بالي بأندونيسيا أن هناك اهتماما كبيرًا لدى الرجال بصراع الديكة وقد شاهد بنفسه هذه الرياضة القائمة على التنافس والرهان أو القمار بين الرجال. وقد قدم وصفا مكثف لأنواع القمار طبقا لتدرجها الهرمي وطبقا لأهميتها بين الناس. وعلى قمة هذا التدرج توجد لعبة صراع الديكة التي تهدف إلى إظهار المكانة الاجتماعية بصورة رمزية في مقابل صراع الديكة الذي يهدف إلى الحصول على المال والذي يعتبر صراعا ضحلا سطحيا وليس عميقا. وصراع الديكة مظهر أو فعل رمزي يكشف عن نرجسية ذاتية لدى الرجال كما أنها تعبر بصورة عن التغير نحو الاتجاه المعاكس للجوانب الأخلاقية والجماعية لمكانة الإنسان. بمعنى أنها ترمز للحيوانية. ويعتمد صراع الديكة على الرهان بين رجلين كل منهما يمتلك ديكا بضعة في حالة انتظار وتأهب حتى تبدأ المنافسة والرجال الذين يراهنون بمبالغ كبيرة من المال يضعون أنفسهم أو مكانتهم العامة عند الحد الذي يكون فيه الديك الخاص يهم وسيطا رمزيا قد يخذلهم أو يجلب لهم الفخر والزهو وإن كان بعض الرجال يخاطرون بأموال كبيرة وقابلة للخسارة فإنهم يفعلون ذلك مدفوعين بالمعنى أو المغزى الذي يصفونه على الحياة والذي يعوضهم اجتماعيا ومعنويا عن الخسارة أو التكاليف الاقتصادية.[[3]](#footnote-4)

إن الأفراد هم الذين يقومون بوصف وتأويل الأفعال والأحداث اليومية بصورة تجعل من حياتهم الاجتماعية والثقافية جزءًا من الواقع الذي يصفونه ويؤولونه. وهذه الأوصاف والتأويلات التي يقدمها الأفراد في حوارهم مع الإتنوغرافي تعد جزءًا من الأنتروبولوجيا وعنصرا هاما في نسق التحليل العلمي.

ويؤكد جيرتز مفهوم تقريب وجهات النظر بين المبحوثين والإثنوغرافي والتي تتحقق من خلال الحوار والنقاش المستمر والذي من خلاله يعبر الأفراد أو الإخباريين عن تصوراتهم وتأويلاتهم لأحداث معينة ويصححون أو يصوبون التصورات التي تفهم عنهم خطأ بحيث يتحقق الاتفاق والفهم المتبادل بينهم وبين الإتنوجرافي. وبعد هذه الخطوة من الأوصاف والتأويلات التي يقدمها المبحوثون والتي يفهمها ويقبلها الأنتروبولوجي يأتي دور الأخير في كتابة ما فهمه أو قرأه في تقريره العلمي. وبعبارة أخرى يأتي التفسير أو التأويل الأنتروبولوجي بعد تصنيف وترتيب وتنظيم ما بقوله ويعتقد فيه الإخباريون، وبعد فهمه أي الأنتربولوجي لأفعالهم. فالتقارير والكتابات التي يقدمها الأنتروبولوجي هي عبارة عن تفسيرات وتأويلات أو نماذج ثانية وثالثة لنفس التفسير أو التأويل الأول الذي قدمه الإخباريون أو الأفراد. فالأوصاف والتأويلات التي يقدمها الإخباريون تشبه الروايات أو القصص أو الحكايات بمعنى أنها تخضع لعملية صياغة وتأليف وإن كان في شكل تلقائي ومن خلال الحوار والمناقشات وهذا ما حدا بجيرتز إلى أن ينظر إلى ثقافة مجتمع ما على أنها مجموعة من النصوص جمعها الشعب نفسه أو هي رواية يحكيها الناس لأنفسهم عن أنفسهم.

1. - كليفورد بخيرتز، **تأويل الثقافة**، ترجمة محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009 ص 82. [↑](#footnote-ref-2)
2. - السيد حافظ السود، **الانتروبولوجيا الرمزية**، منشأة المعارف بالأسكندرية، مصر، ط1، 2002 ص 115- 116. [↑](#footnote-ref-3)
3. - المرجع نفسه، ص119- 120. [↑](#footnote-ref-4)